

Zhāhira al-'Udūl fi al-Qur'ān al-Karīm

ظاهرة العدل في القرآن الكريم

Noor Khalid Mohiddin^{1*}, Jinan Hussin Niama²

^{1,2}Universitas Al-Mustansiriya, Baghdad Governorate 10052, Irak

Received: 2023-12-02	Revised: 2024-01-04	Accepted: 2024-01-12	Published: 2024-02-15
الملخص	تعد ظاهرة العدل من القضايا التي أشبعت بحثاً لدى اللغويين عامة والبلاغيين خاصة، لاسيما أنها تمثل ظاهرة حديثة استعملت في الدرس البلاغي الحديث، فقد كانت الدراسات السابقة تصب على مصطلح الالتفات في النص القرآني والكلام العربي، فعندما نأتي إلى كتاب الطراز وغيره من الكتب البلاغية التي تناولت هذا الموضوع ستجده جلياً بتفسير آيات الله الكريمات، فإذا أردنا أن نوظفه من الجانب اللغوي والبلاغي فهو انزياح وانحراف وتحويل في النص القرآني والشعري، لدى المتكلم أو الكاتب، وهكذا. وقد ذكرنا في بحثنا هذا كيف أن الآيات القرآنية تجلت في موضوع العدل، كما في قوله تعالى ((ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق))، ننظر هنا أن آية أخرى تقابلها مثل ((ولا تقتلوا أولادكم من إملاق)) (فوقف علماء التفسير والبلاغة على أن الآية الأولى تعني أن الفقر غير حاصل؛ لأنهم يخافون أن يقع، والثانية بسبب الفقر أي أنه واقع عليهم، وكأن الأولى موجهة للأغنياء، والثانية موجهة للفقراء، فهذا لم يكن معلوماً لولا هذا الأسلوب) أسلوب العدل (الذي عدل من المصدر إلى الجار والمجرور، وحتى في التقديم والتأخير والحذف نرى هذا جلياً واضحاً، وهذا ضرب من أنواع البلاغة العالية التي تكسب النص قيمة أدبية وفنية يمكن أن تكون في باب الإعجاز، فالقرآن تحدى العرب بإعجازه وفصاحته فرغم معرفتهم بأبواب الفصاحة والبلاغة إلا أنهم لم يستطيعوا الإتيان بمثله، ويبقى موضوع العدل موضوعاً متشعباً وواسعاً، ويدخل في كل كلام العرب، لا سيما البلاغي منه.		
الكلمة المفتاحية	العدل، القرآن، البلاغة، الإعجاز		
Corresponding Author	Noor Khalid		
	Universitas Al-Mustansiriya, Baghdad Governorate 10052, Irak; noorkhalid1871981@uomustansiriyah.edu.iq		

المقدمة

فإن مما أنعم الله علي به شغفي بكتابه العزيز وتطلعي للاختلاف من بحور علمه وهو كتاب الله الخالد الذي لا تنقضي عجائبه فلذا وجهت دراستي في هذا البحث إلى فكرة تمثل ظاهرة من ظواهر الدرس البلاغي من القرآن الكريم ألا وهي (العدل) وقد حاولت ساعياً في هذا البحث إبراز آراء العلماء حول هذه الظاهرة من القدماء ومحدثين ثم ذكرت طائفة من آيات الذكر الحكيم أمثله ناصعة لتلك الظاهرة وكان مستندي في ذلك كتاب الله أولاً ثم كتب التفاسير وكتب تراثنا العظيم ثم ختمت البحث بأهم ما وصلت إليه من نتائج - سائلاً المولى عز وجل أن يوفقني في عملي هذا ويجعله خالصاً لوجهه أنه هو السميع العليم .

This is an open access article under [CC-BY-SA](https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/) license.



المناقشة والنتائج

ظاهرة العدول في القرآن الكريم

إن مادة (ع د ل) ذا الترتيب لها عدة أصول ومعان لغوية.¹ عدل عن الشيء يعدل عدلا وعدولا أي: حاد عنه، وعدل إليه عدولا؛ أي: رجع، وعدل الطريق: مال قال: معدل ولا معدول: أي مصرف.² يقال أيضا: عدل يعدل عدلا وعدولا وانعدل، وعدلته عنه أملتته، وقيل: عدلته أي: قومته عن ميله، وعدلت الشيء أعدله إذا كان فيه أدنى ميل فأقمته، والتعديل التقوي.³ ومن ذلك ما ورد في الأثر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل محمد بن مسلمة، كيف تراني محمد؟ فقال: أراك والله كما أحب، وكما يجب من يحب لك الخير، أراك قويا على جمع المال، عفيفا عادلا في قسمه، ولو ملت عدلناك، كما يعدل السهم في الثقافة، فقال عمر: هاه. فقال: ولو ملت عدلناك، كما يعدل السهم في الثقافة. فقال عمر: الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا ملت عدلوني.⁴ أن لفظة العدول جذر " في اللسان العربي وليست دخيلة عليه فقد وردت عند عبد القاهر في قوله (ولكنه كأنه ترك تلك الطريقة وعدل إلى هذه لأنها أحسن في هذا الكلام خصوصا)⁵ وقوله (وكل ما كان فيه على الجملة مجازوا اتساع وعدول بلفظ عن الظاهر)⁶ فهذان اللفظان يشيران إلى طرق العرب في انتقالهم وتحولهم في أثناء القول على وفق القواعد علم النحو وأحكامه المستقاة من ذات اللغة وقوانينها وأينما وردت لفظة العدول فأنها لا تخرج عن معنى الاتساع في الأوجه المحتملة لأضرب الكلام وإمكانات اللغة فهو مصطلح استخدمه علماءنا القدماء مفهوم النحو المعادل المعنى الاتساع في الكلام⁷ وقد اهتمت الدراسات الحديثة بفكرة العدول بوصفه الأداة التي من خلالها يمكننا أن نعرف الأسلوب الذي يميز بثبات اللغة ذلك أن الأسلوبيين نظروا إلى اللغة من مستويين؛ الأول مستواها المثالي من الأداء العادي والثاني مستواها الإبداعي الذي يمتد على اختراق المثالية⁸ (من المقابلة بين بنيتين :

¹ أبو منصور الأزهري، (2001م)، ذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط، 1 بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج، 2، ص-123. 125. نظر أيضا: الجوهري، (1987م)، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط، 4 بيروت: دار العلم للملايين، ج، 5، ص-1760. 1762.

² ابن سيده المرسي، (2000م)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هندواوي، ط، 1 بيروت: دار الكتب العلمية، ج، 2، ص. 14.

³ ابن سيده المرسي، (1996م)، المخصص، تحقيق: خليل جفال، ط، 1 بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج، 3، ص. 349.

⁴ أخرجه ابن المبارك في كتاب الزهد والرفائق، ب هوان الدنيا على الله عز وجل، الأثر رقم: 512، ص. 179.

⁵ دلائل الاعجاز 164 .

⁶ دلائل الاعجاز 430.

⁷ ينظر: الخصائص؛ أبن جني 442/2-443، وينظر البلاغة والأسلوبية د. محمد عبد المطلب ١٩٨ .

⁸ ينظر البلاغة الأسلوبية، هنريش بليث، ص ١٩٨ .

1. بنية اللغة المحايدة ذات الدرجة الصفر من التعبير وبنية العبارة المشحونة التي تتمثل دورها في توفير القمة التعبيرية التي من شأنها إدخال الاضطراب في نظام اللغة العادية.

2. والبيئة الثانية تمثل المستوى الإجمالي أو الفني القائم على أساس من الخروج وانتهاك اللغوي بقواعد اللغة وهو انتهاك يحقق لنظم حسنا رمزية⁹

يكسب الأسلوب شراء في التحليل¹⁰ من تقديم وتأخير وذكر وحذف ووصل وفصل وكذلك الأساليب البيانية ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِمَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (التوبة: ٥٥) ومعناه أنه أراد أن لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله أن يعذبهم بما في الآخرة ، أي تخرج أنفسهم وهم كفار ولو جعلت الحياة مؤخرة وردت إنما يريد الله ليعذبهم بما في الانفاق كرها ليعذبهم بذلك في الدنيا لكان وجهها حسنا¹¹ فالتركيب يسمى إلى تأدية غرض بلاغي ينشأ من المتكلم إلى المنتقل وفق القوانين الثابتة في العدول وفق القاعدة ينسحب على الشكل كما ينسحب على الدلالة¹² تتركب الآية السابقة لم تخرج من القاعدة المتفق عليها على الرغم من احتمالهم أكثر من وجه وقد يكون العدول يتركب ما يجب ذكره كان يعدل من الضمير التثنية إلى الأفراد وذلك في قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (التوبة 34) لم يقل ينفقونها فإن شئت وجهت الذهب والفضة إلى الكنوز فكان توصلها من ذلك وإن شئت اكتفيت بذكر أحدهما لصاحبه كما قال تعالى وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَؤُلَاءِ نَفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزُقِينَ (الجمعة - ١١) فجملة التجارة قال تعالى: وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (سورة النساء ١١٢) فجملة (والله اعلم) للآثم ومثله قول الشاعر

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضي والرأي مختلف¹³

ولم يقل راضون وقال الآخر :

أني ضمننت لمن أتاني ما جنى وأبي فكان وكنت غير غرور¹⁴

⁹ فكرة (العدول) في البحوث الإسلامية المعاصرة ، عبدالله هولاء ، مجلة دراسات سنمائية المعاصرة ، ص75.

¹⁰ الأسلوب والأسلوبية ، عبد السلام المسدي ، ص 164 .

¹¹ معاني القرآن ، 443/1 .

¹² ينظر الأسلوب والأسلوبية ، بيرجيرو ، ص ٢٢ .

¹³ البيت لقيس بن الخطيم ، وهو في جمهرة اشعار العرب ، القريشي ، ٢١٧ .

¹⁴ كتاب سيبويه ١ / ٣٨ ، الانصاف ٩٥ . وينسب إلى الفرزدق وليس في ديوانه ينظر معجم الشواهد العربية ، عبد السلام هارون ، ١ / ١٩٠ .

ولم يقل غدورين وذلك اكتفاء المعنى بذكر الواحد قال تعالى : **يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ** (التوبة: من الآية 62) أنه إن شئت جعلته من ذلك مما اكتفى بعضه من بعض وإن شئت جعلت الله تبارك وتعالى في هذا الموضوع ذكر للتعظيم ومعنى لرسول صلى الله عليه وسلم وكما قال تعالى: **وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا** (سورة الأحزاب - ٣٧) ألا ترى أنك قد تقول لعبدك قد أعتقك الله وأعتقك فبدأ بالله تعالى الغرض من عدم تثنية الضمير في كلمة ينفقونها تعظيماً لهذه المسألة وذلك لفتنا لذكر المخاطب . وأن القرآن الكريم لما يتميز به من أسلوب كبير في اهتمام علماء اللغة ولاسيما علماء الإعجاز القرآني منهم تتبعا لخواصه.

وجمال أسلوبه وما يتضمن من نكت بلاغية تقدر صدوا المواطن التي عدل فيها القرآن من تركيب إلى تركيب ومن حرف ووقفوا عندها معللين سبب ذلك العدول أو الانحراف . ويكشف لنا أبو عبيدة بعضاً من خصائص النص القرآني الفنية وجماله في التعبير وهو يحصر عدول تركيبه في تأدية معانيها فيستعمل المجاز (بمعنى واسع جداً ليشمل كل تغير في الأسلوب)¹⁵ سواء بالزيادة والحذف¹⁶ أو بالتقديم والتأخير¹⁷ أو غيرهما فالمعنى الواحد عنده يمكن أن يؤدي بأنماط تعبيرية متعددة وقد جعل ظاهرة العدول في النص القرآني في نقض المادة فيقول (وأما نقض العادة فإن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة منها الشعر ومنها السجع ومنها الخطب ومنها الوسائل ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها فنزله من الحسن تفوق كل طريقة)¹⁸ وهذه الإشارة التي تفرد النص القرآني عن الأساليب الكلامية تمثل رصد لعدول القرآن عن أساليبهم ولهذا جعلنا الطريقة الخارجة عن العادة في النظم مؤكدة لكونه معجزة إذا كان له رتبة عظيمة في الفصاحة)¹⁹ وهذا المستوى بمثاليته لم تغب عن أذهانهم لحظة واحدة بسبب بسيط هو أنهم جعلوا من مرآة يعكس عليها انحراف المستوى الفني ومعياريًا يقيسون إليه مقدار هذا الانحراف ومن هنا كان وعيهم به وحرصهم على تبيينه والتنبيه إليه)²⁰

فطبيعة العدول تتحدد بأصل يقاس عليه كل العدول في اللغة²¹ ومن هنا دارت مباحث علم المعاني في كثير من جوانبها عند العلماء البلغة على العدول عن النمط المثالي المؤلف في صناعة الكلام عند علماء

¹⁵ الاتجاه المقالي في التفسير ، نص حامد ابو زيد ، ص 4٢٧.

¹⁶ ينظر اعجاز القرآن ، ابو بكر الباقلائي 257/1.

¹⁷ ينظر م. ن ٨٢ / 1.

¹⁸ النكت في اعجاز القرآن ، الروماني ، ضمن ثلاث رسائل في أعجاز القرآن . ص 111 .

¹⁹ المغني في أبواب التوحيد والعدلي القاضي عبد الجبار الاسدي 225/16.

²⁰ مظهرية اللغة في النقد العربي ص ٢٠٧ .

²¹ ينظر البلاغة الأسلوبية ، محمد عبد المطلب ، ص 69.

اللغة الذي يهتم بأصل المعنى أن يميل ذلك العدول الطاقة الإيجابية في الأسلوب)²² وشواهد في النظم القرآني كثيرة من ذلك قال تعالى: قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَنُورًا (الإسراء: ١٠٠) (قال الزمخشري في تفسير قال : (لو) حقها أن تدخل على الأفعال دون الأسماء فلا بد من فعل بعدها في (لو انتم تملكون) وتقديره: (لو كنتم) فأضمر تملك (إضمارا على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل الذي هو الواو - ضمير منفصل وهو (أنتم) لسقوط ما يتصل به من اللفظ فأنتم (فاعل الفعل المصغر و (تملكون) تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الأعراب فأما ما يقتضيه فهو أن (أنتم تملكون) فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المانع وذلك لان الفعل الأول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر)²³

والنظر في هذا النص يشير إلى بعد آخر من إبعاد العلاقة بين ما يمكن أن نصطلح على تسميته بالمثالي (و) المنحرف (والمثالي هنا هو المستوى الفني وكما هو واضح من الحديث الزمخشري لم تقف البلاغة عند الصورة الفعلية للكلام ولا ترفض ما فيه ومن نقص أو انحراف بل تحاول استغلاله من زاوية فنية بينما يحاول النمو أن يقدم صورة مثالية كاملة للغة فإذا لم تسعفها العبارة الظاهرة الفعلية في الكلام ... تطوع بتقدير هذه الصورة ونجد مثلا لذلك في حديث الزمخشري السابق عن دخول (لو) على الأفعال دون الأسماء وكيف يضطر النحاة محافظة على هذه الة إلى تقدير فعل يتلوها يفسره الفعل (المذكور)²⁴ ويعتمد عبد القاهر في تحليله للنصوص إلى كشف صورها الجمالية وقيمتها البيانية من (العدول) عن الاستعمال المثالي بوصفه ظاهرة تقوم على التعبير وتتصل بأنساق تعبيرية محددة²⁵ وتأتي (مقولة العدول باعتبارها محورا رئيسة في البحث يؤكد المستوى الإخباري والإبداعي في الأداء اللغوي وهو بهذا يمثل قيمة تعبيرية أو بينها أسلوبية في مباحث التقديم والتأخير والذكر والحذف والتعريف والتنكير والقصر والفصل والوصل) وجميع هذه الأوجه تعد من مظاهر الانحراف فيه ويصل إلى انه صورة من الصور الالتفات بعرضه لصور متعددة استمدتها من كلام العرب ويمكن أن نجوز لأنفسنا أن نقول أنه قد أبعده في كلامه هذا فالالتفات ليس كالعدول فالالتفات هو (العدول من أسلوب آخر مخالف للأول)²⁶ ونرى الالتفات في قوله إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (سورة الكوثر : ٣ (٢،١)

²² ينظر الاصول ، دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب د. تمام حسان ، ص 147.

²³ الكشاف ، 696/2 ، وينظر المحرر الوجيز 488/3. صور

²⁴ مظهرية اللغة في النقد العربي ، عبد الحكيم راضي ، ص ١٩٢.

²⁵ ينظر النحو بين عبد القاهر وتشوفسكي ، محمد عبد المطلب ، مجلة الفصول ، مج5، العدد الأول . سنة ١٩٨4 ، ص ٣٢.

²⁶ الطراز المتضمن أسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ، العلوي ١٣٢/2 .

فالالتفات هنا من المخاطب إلى الغيبة وأراد في التفاته إلى الغيبة الإبقاء على المخاطب من قرعه في الوجه بسهام الهجر فالغيبة أروع له وأبقى على ماء وجهه إن يفوت حيث لم يقل (لنا) تحريضا على الصلاة و الأنفاق في النحر في حق الربوبية²⁷. وقد يكون الالتفات من النصب إلى الرفع وربما اقتضيت المقيمين بفعل محذوف تقديره اعني وهذا لفتا لعناية السامع بشأن هذا الاسم لما بعده فكلمة المؤتون جاءت مرفوعة على خلاف المقيمين على الرغم من أن بينهما هو عطف نسق²⁸ وإنما نصبت لأنهما صفة لاسم واحد هو (المؤمنون) بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من صفاتهم فكأنهم ذهبوا فيه إلى المدح (والعرب تعترض من صفات الواحد إذا تناولت فيه إلى المدح أو الذم يرفعون إذا كان الاسم رفعا وينصبون لأجل المدح مكانهم لأخرج المنصوب بمدح مجددا غير يتبع الأول الكلام من ذلك قول الشاعر :

لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وافة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبين معاهد الأزر²⁹

ربما رفعوا النازلين والطيبين وربما نصبوهما على مدح والرفع على أن يتبع آخر الكلام أوله قال بعض الشعراء :

إلى الملك القرن وابن الهمام وليت الكتبية في المزدحم
وذا الرأي حين تضم الأمور بذات الحليل وذات اللجم³⁰

فذهب ليث وذا الرأي على المدح والاسم قبلها مرفوع³¹ وفي ضوء ذلك نكون قد وقفنا عند مستويين للفظة : الأول مستواها المثالي في الأداء العادي وهو المستوى الاختياري (البلاغي) الذي لإيراد منه أكثر من الإفهام والإيصال في هذا النوع لا إذا تتحقق مفهوم العدول ومستواها الثاني الإبداعي (البلاغي) المعتمد على خرق تلك المثالية إلى الانحراف والانحياز في النص وهذا الإبداع لا يتحقق معنى دلالي جديد من خلال ذلك الانحراف وان القوانين البلاغية يجب إن تعطي ذلك الاهتمام الذي يحقق كما تراعي القوانين النحوية فعلى الرغم من كونها (تقوم على الاختيار بين عدة تراكيب نحوية صحيحة ولكن هذا الاختيار نفسه محكوم بقوانين تجعل العدول عن التراكيب المناسب طبقا لهذه القوانين خطأ بلاغيا كذا قال البلاغيون أن علم المعاني

²⁷ ينظر البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، 3/317.

²⁸ ينظر المحرر الوجيز 2/ 135 ، ارشاد العقل السليم 1/ 397 .

²⁹ الكتاب سيبويه 1/140 ، والجمل ، الزجاجي ص 82 ، والبيتان ينسبان لخزق ، ينظر معجم شواهد العربية ، 1/18.

³⁰ الانصاف في مسائل الخلاف ، ابو البركات الانباري ، 469 ، وخزانة الأدب البغدادي 1/216.

³¹ معاني القرآن 1/106.

تحرز من الخطأ في أداء المعنى المراد)³² فأن التراكيب الخارجية على خط المؤلف في الجملة لا يمكن أن تعد جمعها خرقاً للمألوف حتى تؤدي معنى وعند ابن سنان شرطاً (من شروط الفصاحة والبلاغة أن يكون معنى الكلام واضحة جلياً لا يحتاج إلى فكرة منظوم أو منشور)³³ فيكون (شرط جواز العدول عن أصل من هذه الأحوال أن يؤمن اللبس فتتحقق الفائدة ، ومن هنا لا يكون الحذف إلا مع وجود الدليل ولا يكون الإضمار إلا عند وجود المفسر ولا يكون الفصل إلا بغير الأجنبي ولا التقديم والتأخير إلا مع وضوح المعنى وحيث لا تكون الرتبة واجبة الحفظ)³⁴. ويبقى المستوى الفني في الأداء الوسيلة القادرة على الخروج على قواعد اللغة خلافاً للكلام المؤلف لهذا نجد اللغة التي يكتب بها الشعراء يتكلفون بإيجازها على ضوابط تلك اللغة وان يقولوا أشياء لم يتمكنوا من قولها بتلك اللغة التي (يمكن فهمها دون تقدير مناسب للكيفية التي تعمل بها اللغة العادية)³⁵ وقد تحدث عبد القاهر عن قضية العدول فيما كان فيه الانحراف أو العدول مقبول أو غير مقبول كما جاء بيان ذلك في هذا البحث وعلى هذا (فأن الاختلافات في البنية بين اللغات تنتج من المكيفات المتنوعة التي تتوقف عليها عملية التركيب والتأليف . فلا يمكن أن يكون النظام الركني في اللغة عفوية أو اعتباطية حيث تتميز هذه العلاقات الركنية بكونها حضورية أي يتحدد بعضها ببعض بما هو موجود أي بها وقع اختياره فعلاً دون ما يقدر أنه كان يمكن أن يختار من الرصيد اللغوي)³⁶

ولما كان الكلام لا يتكون إلا من ضم أجزائه بعضها إلى بعض فإن العلاقات الركنية هذه تكون من رصف الأدوات التعبيرية وتركيبها حسب تنظيم يقتضي بعضه قوانين النحو وتسمح ببعضه الآخر بمجالات التصرف وإنما سميت بالعلاقات الركنية لأنها تخضع لقانون التجاور (فإن مختصر كل الأمر أنه لا يكون كلام من جزء واحد وأنه لا بد من مسند ومسند إليه) وأنه (لا نظم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك) .

وعلى هذين النصين يمكننا أن نقف عند تحديد عبد القاهر لمفهوم العلاقات الركنية التي تكون دلالتها رهينة الأركان التي تقوم في تعاقبها أو ما يطلق عليه في الدراسات الحديثة محور التوزيع ، من حيث أن كل لغة هي حصيلة نوعين من الضغوط ، ضغوط الدلالة وضغوط الإبلاغ ولكل مقطع لساني هو حلقة بين الأشياء والوقائع المرموز بها والمتقبل لذلك المقطع وهذه العلاقة ليست عفوية ولا اعتباطية وإنما هي تفترض عقداً

³² مدخل إلى علم الأسلوب : شكري عبادة.

³³ سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، ص ٢٢٠ .

³⁴ الأصول : ص ١٣٠ .

³⁵ اللغة والعالم القصصي ، جيفري بيغ ، مجلة الثقافة الأجنبية السنة ١٩٩١ ، ص ٤.

³⁶ الأسلوب والأسلوبية . المسدي ، ص 140.

مزدوجة : أحد العقدين يستجيب لضغوط الإبلاغ وهو التسليم بمجموعة من القوانين الضابطة التركيب مقاطع الكلام وهذا العقد الثاني يشمل الأسس العامة تاركة بعض المجال يتصرف كل فرد من أفراد المجموعة السابقة الواحدة ..)³⁷ وليس لأحدهما وظيفة دون الآخر فإنه (من قبيل الجمال صياغة جملة مفيدة اعتمادا على رصيف الكلمات المأخوذة من المعجم مباشرة)³⁸

وسبقنا بهذا المفهوم في قول عبد القاهر (أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توات ألفاظها في النطق بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على والوجه الذي اقتضاه العقل فإن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع التصرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيصرف فيما بينهما فوائد ...)³⁹ فلما كان (الإسناد ليس إلا إحدى) الوظائف النحوية التي يمكن أن تنجزها لكلمة ما وعلينا أن ندرس الوظائف الأخرى حيث نجد التميز نفسه بين كلمات تلائم وظيفتها وأخرى لا تلائم هذه الوظيفة وأنا نستطيع أن نقدم صياغة أعم فيما أن جملة تتكون من كلمات أي القدرة دلالي على الاطلاع بهذه الوظيفة وهذه القاعدة ليست أكثر

مما يسمى في هذا المستوى الدلالي بـ (بديهية قابلية الفهم)⁴⁰ وللمتكلم الاختيار بين نوعين من اللغة نوع يكون فيه الاختيار مثالي ونوع فيه منحرف والفرق موضح بين الاختيارين إذ لا يطلب من المثالي سوى الافهام وغالبا ما يكون اختيار، والمقصود منه قواعد اللغة من حيث إن القواعد النحوية ذات طبيعة صورية خالصة هذه القواعد توزع الكلمات الى فئات تتميز صوريا فيما بينها وتجهيزا وتمتع تجاوز الكلمات باعتبار وظيفة هذه الفئات)⁴¹

كما أن من سمات هذا الاختيار أيضا وقوعه بين سمات مختلفة تعني دلالات مختلفة في حين يقع النوع الثاني بين سمات وتدخل ضمن هذا الاختيار الأشكال اللغوية المختلفة كالتقديم والتأخير والفصل والوصل والذكر والحذف والتعريف والتنكير وغالبا ما يعكس هذا النوع سمة أسلوب المنشئ المميزة له من سواه ويتحدد هذان النوعان من الاختيار بتحدد الشكل النهائي للنص المنحرف⁴² الذي تكون الطريقة الواقعية على تراكيب اللغة واستعمال إمكانات اللغة وهياكل دلالاتها وأشكال تراكيبيها خروج عن المؤلف من العناصر المسلمة خصوصية ذلك النص عن غيره .

³⁷ الأسلوب والأسلوبية ، المسدي ، ص 55-56.

³⁸ ينظر بنية اللغة الشعرية ، جان كوهين ، ص ١٠٢

³⁹ دلائل الاعجاز ، ص ٥٣٩ .

⁴⁰ بنية اللغة الشعرية ، ١٠٠ .

⁴¹ بنية اللغة الشعرية ، ١٠٣ .

⁴² ينظر الاسلوب ، سعد مصلوح ، ٢٣ .

وعلى هذا فإن فكره الانحراف تبقى من الأمور المسلم بها وهي تمثل خروجاً عن النمط المؤلف ذلك أنه يبيح للأديب أن يضع قانونه الخاص الذي لا يشترط فيه إلا أنه يكون كلام قادر على التوصيل فليس هذا العدول إلا مخالفة صريحة للقوانين اللغة ولكن يشترط ألا يكون هذا وسيلة تتحطم فيها العلاقات بين الأصوات اللغوية فتستحيل لفظة غير مفهوم⁴³. ويقف الأسلوب قائمة على العناصر التكوينية له وهي المسند والمسند إليه والوضع.

الخاتمة

- بعد هذه المسيرة العطرة في كتاب الله تعالى وكتب البلاغة الأصيلة نستطيع أن نخرج بعدة أمور هي كالآتي:
1. إن الدراسات القرآنية جميعاً لا بد أن تكون مثمرة؛ لأنها خدمة لكتاب الله عز وجل.
 2. جدت الباحثتان أنفسهن أمام بحر هائل من الموضوعات التي تتناول ظاهرة العدول؛ لأنه يشكل ظاهرة لغوية لا بد لأي باحث من الوقوف عليها.
 3. ستعمال المصادر المختلفة وتقسيم المادة علمياً، وهذا راجع إلى سعة الموضوع أولاً، وغزارة الآيات القرآنية ثانياً.
 4. ستعملت الباحثتان موضوعات علم المعاني بفروعه المختلفة التي تكون لها علاقة بظاهرة العدول وتقويتها واسنادها في النص
 5. تعد ظاهرة العدول ظاهرة متشعبة في القرآن الكريم وجاءت بعدة استعمالات فتغير النص بتغير الضمائر من الحضور إلى الغيبة ومن التكلم إلى المخاطب بتنوع لطيف يدل دلالة قاطعة على جماليته وحرفيته وإعجازة في التعبير.

قائمة المراجع والمصادر

- أبو زيد، نصر حامد، الاتجاه العقلي في التفسير: دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، المركز الثقافي العربي، 2007م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 4
- الأنباري، كمال الدين أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية ' ط 1، 2003 م .

⁴³(ينظر مدخل إلى علم الأسلوب، ص 37).

آبادي, القاضي عبد الجبار الاسد, المغني في أبواب التوحيد والعدلي, تحقيق محمد مصطفى حلمي, أبو الوفا الغنيمي, المؤسسة المصرية للتأليف و الأنباء و النشر, الدار المصرية للتأليف و الترجمة.
البغدادي, عبد القادر بن عمر, خزانة الأدب و لباب لسان العرب, تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون, مكتبة الخانجي, القاهرة, ط 4, 1997 م.
بيج, جيفري, اللغة والعالم القصصي, مجلة الثقافة الأجنبية السنة 1991.

الباقلاني, أبو بكر محمد بن الطيب, إعجاز القرآن, تحقيق السيد أحمد صقر, دار العارف, مصر ط 5
1997م.

بيرجيرو, الأسلوب والأسلوبية, ترجمة منير عياش, مركز الأبحاث الحضاري, سوريا, ط
بليث, هنريش, البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص, ترجمة محمد العمري, أفريقيا الشرق,
2007م.

المرجاني, أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن, دلائل الإعجاز, تحقيق محمود محمد شاكر أبو فهر, مطبعة
المدني بالقاهرة, ط 3, 1992م.

الزجاجي, عبد الرحمن بن اسحاق, الجمل في النحو, تحقيق علي توفيق الحمد, مؤسسة الرسالة دار الأمل
, ط, 1984م

الخفاجي, أبو محمد عبد الله بن سنان, سر الفصاحة, دار الكتب العلمية, ط 1, 1982م.
حسان, تمام, الأصول, دراسة استمولوجية للفكر اللغوي عند العرب, عالم الكتب, القاهرة, 2000م.

الرماني, علي بن عيسى بن علي, النكت في إعجاز القرآن, ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تحقيق
محمد خلف الله, د. محمد زغلول, دار المعارف, مصر, ط 3, 1976 م

الزركشي, بدر الدين محمد بن عبد الله, البرهان في علوم القرآن, تحقيق أبي الفضل الدمياطي, دار الحديث
للطبوع و النشر و التوزيع, 2006 م.

سيبويه, عمرو بن عثمان بن قنبر, الكتاب, (ت 180 هـ), تحقيق عبد السلام محمد هارون, مكتبة
الخانجي, القاهرة, ط 3, 1988 م.

عبد المطلب, محمد, البلاغة والأسلوبية, الشركة المصرية العالمية للنشر, ط 1, 1994م.
العلوي, يحيى بن حمزة بن علي, الطراز المتضمن أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز, المكتبة العصرية,
بيروت ط 1, 1423 هـ.

- عيادة, شكري, مدخل إلى علم الاسلوب, ط2 , 1992.
- عبد المطلب, محمد, النحو بين عبد القاهر وتشوفسكي, مجلة الفصول , مج5, العدد الأول . سنة 1989م.
- الفراء, أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله, معاني القرآن , تحقيق أحمد يوسف النجاتي , محمد علي النجار , عبد الفتاح اسماعيل الشلبي , دار المصرية للتأليف و الترجمة - مصر, ط 1.
- كوهين, جون, بنية اللغة الشعرية, ترجمة محمد الولي ومحمد العمري , مكتبة الأدب المغربي , ط 1, 1986م .
- مصلوح, سعد, الأسلوب دراسة لغوية إحصائية, عالم الكتب , مصر, ط3 ' 1992.
- المسدي, عبد السلام, الأسلوبية و الأسلوب, الدار العربية للكتاب , ط 3.
- هولا, عبدالله, فكرة العدول في البحوث الإسلامية المعاصرة, مجلة دراسات سيمائية معاصرة